البعد الجغرافي للحضارات
آفاق للحوار الحضاري بين الشرق والغرب

أ.م.د صفاء جاسم محمد
عميد كلية التربية / جامعة المثنى

المقدمة :

صدام الحضارات موضوع شغل المثقفين والاكاديميين وعموم الناس منذ ما يقرب من اربعة عشر سنة وبما اننا نحن العرب والمسلمين على راس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة بمعرفتها وتحليلها فعلاً عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها واهدافها ، فكتبت تعليقات وردود فعل كثيرة ضد فكرة صدام الحضارات من امريكا واوربا والوطن العربي وعقدت العديد من المؤتمرات والندوات الكثيرة في جامعات عالمية امريكية واوربية وعربية جمعت باحثين ومختصين من مختلف الجهات لمناقشة افكار واهداف وتطلعات النظرية .

ان الدعوة الى حوار الحضارات تعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين الذي افل منذ سبعة اعوام لذلك بادرت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم الى تبني الدعوة الى حوار الحضارات بين اتباع مختلف الحضارات حيث تكون هذه الدعوة كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعاون والتعايش السلمي ، لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة الى حوار الحضارات منذ الستينات من القرن العشرين عندما ترددت في ارجاء العالم السياسية فكرة نظرية (هنتنغتون) عن صدام الحضارات لان الحوار هو البديل المنطقي الذي تمت المسارعة الى استدعائه .

فالحوار هو لغة الاسلام وقد قضى الله سبحانه ان تكون علاقته جل شأنه بمخلوقاته قائمة على اساس الحوار الاقناعي وليس على اساس القهر والاكراه ، والقارئ للقرآن الكريم يجد ان الله تعالى استعمل كلمة الحوار مع الملائكة والرسل والناس اجمعين ، وقد اراد الله تعالى ان يعلمنا عملياً ومن خلال القدوة ، ان النهج السليم في تاسيس وادارة العلاقات بين البشر هو القائم على اساس مبدأ الحوار وحسن استخدامه مع الناس كافة : افراد كانوا او جماعات اوحضارات مسلمين اوغير مسلمين، و((ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن)) ((وقولوا للناس حسن)) و ((وقولا له قولا لينا)) هذه الايات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم تؤكد ذلك[1] .

والمفهوم الاسلامي للحوار بين الحضارات منبعه التسامح والسمو وينطلق من عقيدة التوحيد ومن الايمان بوحدة الاصل الانساني , وصراع الحضارات في الرؤية الاسلامية حالة عارضة في مسيرة التاريخ وقوى الخير وتياراته تغالب قوى الشر وتنتصر عليها في نهاية المطاف , والصراع دعوة الى الشر ومصدر له بينما الحوار بين الحضارات دعوة الى الخير ومصدر للسلم والتعايش في جميع الاحوال ، والامة الاسلامية ، تمتلك شروط النهوض الحضاري لاستئناف دورها في بناء الحضارة المعاصرة والاسهام في اتفاق البشرية مما يتهددها اليوم من خطر التفكك والانهيار ، وهي مؤهلة اكثر من غيرها من الامم لتؤدي دوراً بالغ التميز في المعترك الحضاري والفكري العالمي من خلال رؤيتها المستنيرة ومفهومها العلمي ورسالتها الحضارية المتواصلة ممتدة العطاء والاشعاع .

والعالم يقف اليوم على مفترق طرق تتقاذفه امواج العولمة العاتية ، وتتجاذبه فكرة صراع الحضارات التي اصبحت مبعث ذعر على الصعيد العالمي ، ومصدر تهديد للشعوب والامم والحكومات والدول ، لدفعها الى الرضوخ لارادة القوة الدولية الوحيدة التي فقدت المقومات الحضارية للحضارة الانسانية الهادفة الى الخير لشعبها ولشعوب العالم قاطبة . ويعلم الغرب علم اليقين ان قوله بتصادم الحضارات امر غير صحيح لان الحقيقة هي عدم وجود تصادم او صراع بين الحضارات .

يهدف البحث الى اظهار ان المسافات الجغرافية على خريطة العالم القديم والمعاصر عامل مشجع على الحوار والتلاقح الثقافي والحضاري بين الحضارات وليس التصادم لها كما يشيع لها الآن من قبل دعاة القوى المهيمنة دعاة الصراع الحضاري .

يتضمن البحث ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول آسيا ومراكزها الحضارية .

اما المبحث الثاني فخصص لدراسة وتحليل تفاعل الفكر الاسلامي مع الفكر العالمي حضارة وثقافة .

اما المبحث الثالث فتناول تطور فكرة الصراع الحضاري بين الغرب والاسلام .

واختتم البحث بخاتمة وقائمة المصادر .

المبحث الاول : اسيا موطن الحضارات القديمة

١. اسيا مهد الحضارات

اغلب العلماء والباحثين يقرون ان الانسان يعود الى اصل واحد مشترك وان آسيا هي موطن الانسان الاول فسائر الحضارات المزدهرة القديمة المتوهجة بالعلوم والمعرفة والفنون والصناعات قد نشأت كلها وبغير استثناء في ارجاء اسيا او على اطرافها وتخومها الشمالية الغربية[٢] . فالصين والهند وبلاد فارس وسومر وبابل واشور وفينيقيا كلها تقع في آسيا التي كانت موطن الحضارات الانسانية المشرقة . ولا يجب ان نتردد في اعتبار مصر القديمة والاغريق القديمة كذلك اجزاء حضارية من اسيا فهي تقع على تخومها او ملاصقة لها ، كما تدل الشواهد والاستقراء التاريخي على تحديد آسيا كموطن للجنس البشري الاول وهذه مسالة يكاد يجمع عليها العلماء والباحثون .

في حين توجد محاولة مستمرة من جانب الباحثين الاوربيين ان يؤكدوا دائماً فكرة او نظرية وان تكون اوربا وغربها بصفة خاصة موطن الانسان الاول ولعل هذا يظهر لنا كيف ان المباحث العلمية تتاثر دائماً بالنزعة العاطفية وبرغبة كل قوم في الاستعلاء والفخر مهما ادعوا غير ذلك ومهما تحدثوا عن التجرد العلمي ونزاهة البحث فليس هناك شيء يتصادم مع الحقائق العلمية الثابتة غير التلويح بان يكون شرق اوربا او غربها وحتى جنوبها هو مهد الانسان الاول . فالدلائل الجيولوجية تشير الى ان الجليد قد غطى اوربا وشمال اسيا قبل ٥٠ الف سنة ومن هنا ليس هناك ما هو امعن من التعسف في التخيل والفرض في تصور أن حياة الانسان الأول تنشأ وتترعرع وسط الجليد .وأن أبسط محاولة لمعرفة نشاة الحياة فضلاً عن نشاة الانسان يجب تلمسها في المناطق الحارة او على الأقل في المناطق الدافئة .لأن المنطق من ناحيه والمشاهدة والملاحظة من ناحيه اخرى والاستهداء فوق ذلك كله يؤكد أن ازدهار الحضارة الانسانية وموطن الانسان الاول لا يمكن ان يكون إلا في جنوب اسيا عامة وفي جنوب الهند على وجه التخصيص . لان موطن الحياة الانسانية الاولى حيث الحرارة والدفئ وحيث النماء والازدهار لا الجدب والقحط وهذا يصل بنا الى خط الاستواء Equator او اقرب من ما تكون منه . ولأن دائرة الاستواء تمر وسط افريقيا وتمر قريبا من جنوب اسيا وخلال الملايو وجزر الهند الشرقية بالذات ثم هي تمر في شمال استراليا وفي شمال امريكا الجنوبية . وهنا نرى ان جنوب اسيا دون سائر هذه البقاع يصلح لحياة الانسان البدائي . وبقية الجهات لا تصلح والدليل على ذلك من المشاهدة والعوامل الجغرافية التي ترجح جانب الهند على سائر هذه البقاع ، فامريكا الجنوبية والشمالية يفصلهما معاً عن بقية القارات محيطان كبيران هما المحيط الاطلسي والمحيط الهادي ، فلا تصلحان لتكونا موطناً يتفرع منه الجنس البشري في سائر الاتجاهات ، ويعزز الراي انهما عندما اكتشفا في القرن الخامس عشر كان عدد السكان بهما قليل نسبياً مما يؤكد حداثة عهد الانسان بهما وما يصدق عن الأمريكتين يصدق بالاكثر على استراليا التي ما تزال اقل القارات سكاناً ، كذلك الشان بالنسبة لافريقيا التي لايزيد عدد سكانها في الوقت الحاضر عن (٥٠٠) مليون نسمة ومساحتها (٣٠.٣٢٣.٠٠٠) كم^{٢} واذ كنا قد استبعدنا من قبل اوربا وشمال اسيا لوقوعهما في منطقة الجليد في ذلك الوقت . فلم يبق امامنا من اليابس ما يشير الى صلاحيته ليكون موطن الانسان الاول الذي تفرع منه الى سائر ارجاء الارض سوى جنوب اسيا

ويؤكد هذا القول النظر إلى أن أكثر من نصف سكان العالم يتكدسون في هذا الجزء من العالم ،"الصين والهند الصينية والملايو واندونيسيا والهند" هذا الاكتظاظ العالي للسكان بالرغم من العوامل المعاكسه للعيش كالفقر وهو الدليل على صلاحية هذه البيئة للحياة و توطن الحياة بها منذ اقدم العصور .

فأسيا هي بحق جذع الارض الرئيسي الأكبر واوربا ليست امتداداً لشمالها الغربي . والجيولوجيون متفقون على ان افريقيا كانت متصلة بها قبل ان يحصل الانكسار العظيم الذي انتج البحر الاحمر Red sea وعلى اية حال فقد ظلت اسيا متصلة اتصالاً مباشراً بافريقيا حتى حفر قناة السويس سنة ١٨٦٩م . كما ان اسيا كانت متصلة بالأمريكتين عبر ما يسمى الان بممر بيرنج Bering Strait والاراء متفقة على ان سكان الأمريكتين الاوائل قد جاءوا من هذا الطريق على الارجح ومعنى ذلك ان أسيا هي المركز الوسط الذي انطلق منه الانسان بحكم القوة المركزية الطاردة الى ارجاء المعمورة .

٢. المراكز الحضارية القديمة

التفكير الجغرافي قديم قدم الانسانية ذاتها ، اذ ان المجهودات الاولى التي قام بها المفكرون من اجل فهم ظاهرات البيئة المحلية بهم وفهم مركز الانسان بين هذه الظاهرات يعتبر المنشأ الأول للتفكير الجغرافي وكان سكان الحوض الشرقي للبحر المتوسط أول من ساهموا في نمو المعرفة الجغرافية . اذ نشات في منطقتهم اقدم الحضارات التي عرفتها الانسانية وقد ساهم سكان الشرق الاقصى بذلك أيضا .

في تطور المعرفة الجغرافية اذ نشأت في الصين والهند بعض الحضارات التي عاصرت الحضارات الموجودة في الشرق الاوسط ويرى اوزوالد اشبنكلر ان جميع الحضارات التي قامت في الشرق الاوسط ماعدا الحضارة الفرعونية هي حضارات عربية وجميع ما قام في منطقة الشرق الاوسط بكاملها وامتد حتى الصين وشمالي افريقيا هي فروع من الحضارة العربية[٣] ومن خلال التوزيع الجغرافي لمناطق نشوء الحضارات القديمة خريطة رقم (١) نجد ان معظم الحضارات منذ الاف الرابع ق.م ظهرت في اسيا ومن ثم في شمال افريقيا ومن ثم في جنوب اوربا من حوض البحر المتوسط . اذ ارتبط نشوء الحضارة وتطورها في العراق منذ عصور ما قبل التاريخ بنهري دجلة والفرات وكان العراق بحكم خصائصه الجغرافية وبطبيعة رافديه دجلة والفرات من اقدم البلاد التي مارست الري في زراعة اراضيها والري والحضارة صنوان لا يفترقان فحيثما وجدت الحضارة ظهر التمدن ازدهرت معهما الزراعة التي تعتمد على الري وحيثما وجد نظام الري ازدهرت معه الحضارة[٤] اذ بدات الهجرات من شبه جزيرة العرب منذ ٩٠٠٠ ق.م التي تمثل اقدم استيطان نحو نهر الفرات في سوريا وان الاستيطان في العراق كان في حدود ٦٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م وهذا يتفق مع اول هجرة للساميين من شبه جزيرة العرب بعد الدورة الجليدية الرابعة ومنذ الف الرابع ق.م انتشرت الحضارة في العراق وخلال الف الثالثة ق.م انتشرت الحضارة وامتدت في وادي النيل أي بمسافة جغرافية (١٧٢٠) كم كما ظهرت في بلاد الشام والى مسافة (١٢٥٠) كم عن حضارة وادي الرافدين والساحل الشرقي للبحر المتوسط ولمسافة (٨٦٠) كم في بلاد فارس والى (٣٠٠٠) كم الى الهند .

خريطة رقم (١)
الأقاليم أو الحيز الحضاري والثقافي في العالم

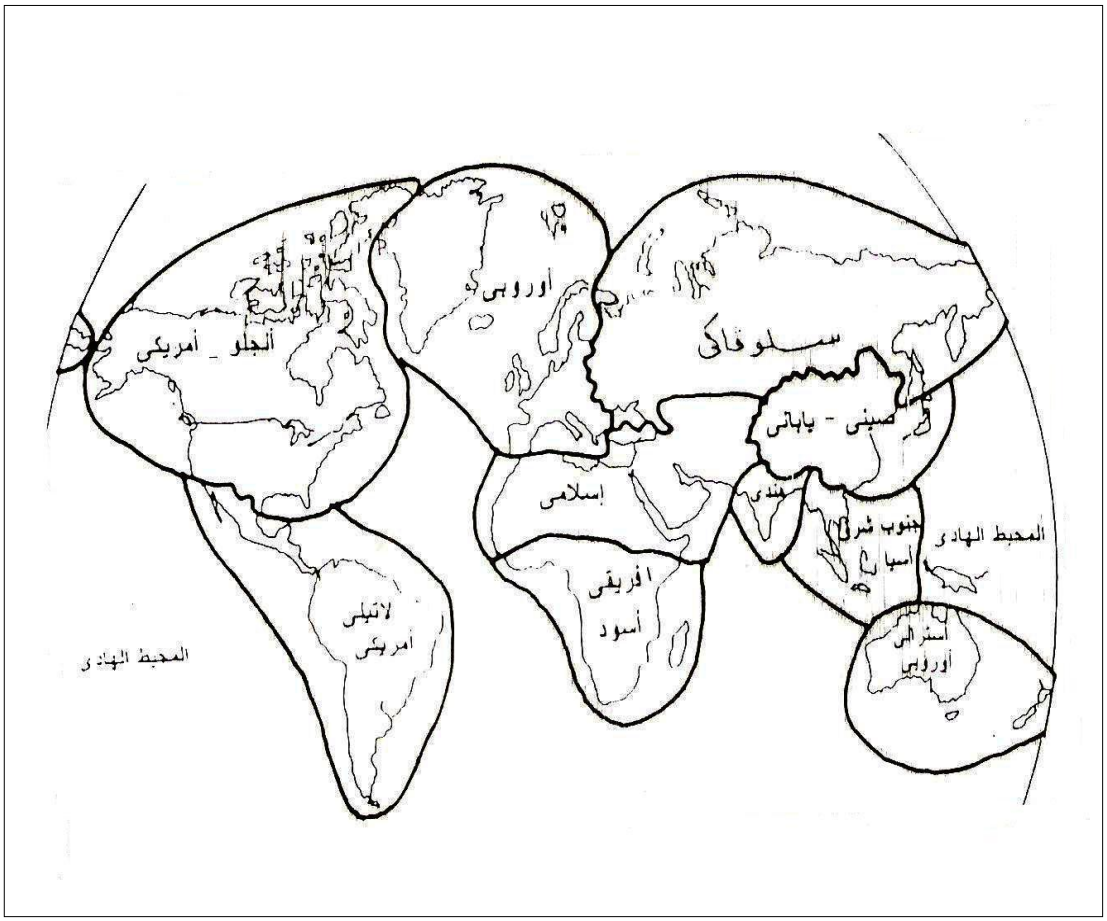

المصدر : محمد مدحت جابر ، جغرافية العالم الإقليمية

ينظر ابن خلدون الى حركة التاريخ من خلال الحضارة ، فالحضارة عنده كائن حي ، تولد ثم تنمو ثم تصل مرحلة النضوج (الشباب) ثم تبدا بالاضمحلال ثم تهرم ، فتموت الحضارة بعد ان تفقد طاقتها الابداعية، والحضارة تتعاقب دورياً على الدول من خلال مراحل نموها الثلاث (النشأة ، الازدهار ، الانحطاط)[٥] .

ويرى اشبنكلر ان الحضارة تولد في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة وتنفصل هذه الروح عن الروح الاولية للطفولة الانسانية الابدية ويرى ايضاً ان الحضارة ككل تولد وتنمو في تربة بيئية يمكن تحديدها تحديداً دقيقاً وان الحضارة ككل كائن لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها وانها تحدث عندما تحقق روحها جميع امكاناتها الباطنية على هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون وعلوم ودول ، وان الحضارة عندما تحقق هذه الامور وتستنزف امكانات روحها في تجسيد هذه الانجازات تتخشب وتتحول الى مدنية وأخيرا تتجاوز المدنية الى الانحلال والفناء[٦] ويرى شبنكلر ايضاً ان جميع الحضارات التي قامت في الشرق الاوسط هي حضارة عربية وقد ساهم سكان الشرق الاقصى في نشأة الحضارة في الصين والهند بعض الحضارات القديمة التي عاصرت الحضارات في الشرق الاوسط غير ان طبيعة الموقع الجغرافي Geographical Situation لحضارات الحوض الشرقي للبحر المتوسط سمح لها بالنمو والتطور [٧] وهذه الحضارات استغلت موقعها الجغرافي المتوسط في ذلك الوقت وازدهرت عن طريق الاتصال التجاري والاحتكاك الثقافي بغيرها من الحضارات[٨] .

وخلال الألف الثاني ق.م انتشرت الحضارة في اسيا في اليمن وفي الصين كما وانتشرت في مصر والسودان وفي بلاد الاناضول وفي اليونان كما انتشرت خلال الالف الاول ق.م حتى وصلت الى جنوب اوربا أي ان الحضارة نشاة وامتدت من اسيا باتجاه الشرق ثم الغرب نحو وادي النيل وشمال افريقيا ومن ثم الى جنوب اوربا حول حوض البحر المتوسط الشمالي . والجدول (١) وخريطة (٢) يوضحان ذلك .

جدول رقم (١)
مناطق نشوء الحضارات القديمة [٩] .

في الالف الرابع ق.م	وادي الرافدين
في الالف الثالث ق.م	وادي الرافدين ، وادي النيل ، بلاد الشام (فينيقية) ، الهند
في الالف الثاني ق.م	وادي الرافدين ، وادي النيل ، الهند ، الصين ، اليمن ، بلاد الأناضول ، الإغريق,بلاد فارس
في الالف الاول ق.م	وادي الرافدين ، وادي النيل ،اليمن ،بلاد فارس، الهند ، الصين ، شمال أفريقيا ، جنوب اوربا (روما) اليونان ، جنوب غرب اوربا حوض البحر الأسود .

المصدر : أطلس الوطن العربي والعالم ، ط١، ١٩٨٨ ، ص٨٦-٨٧ .

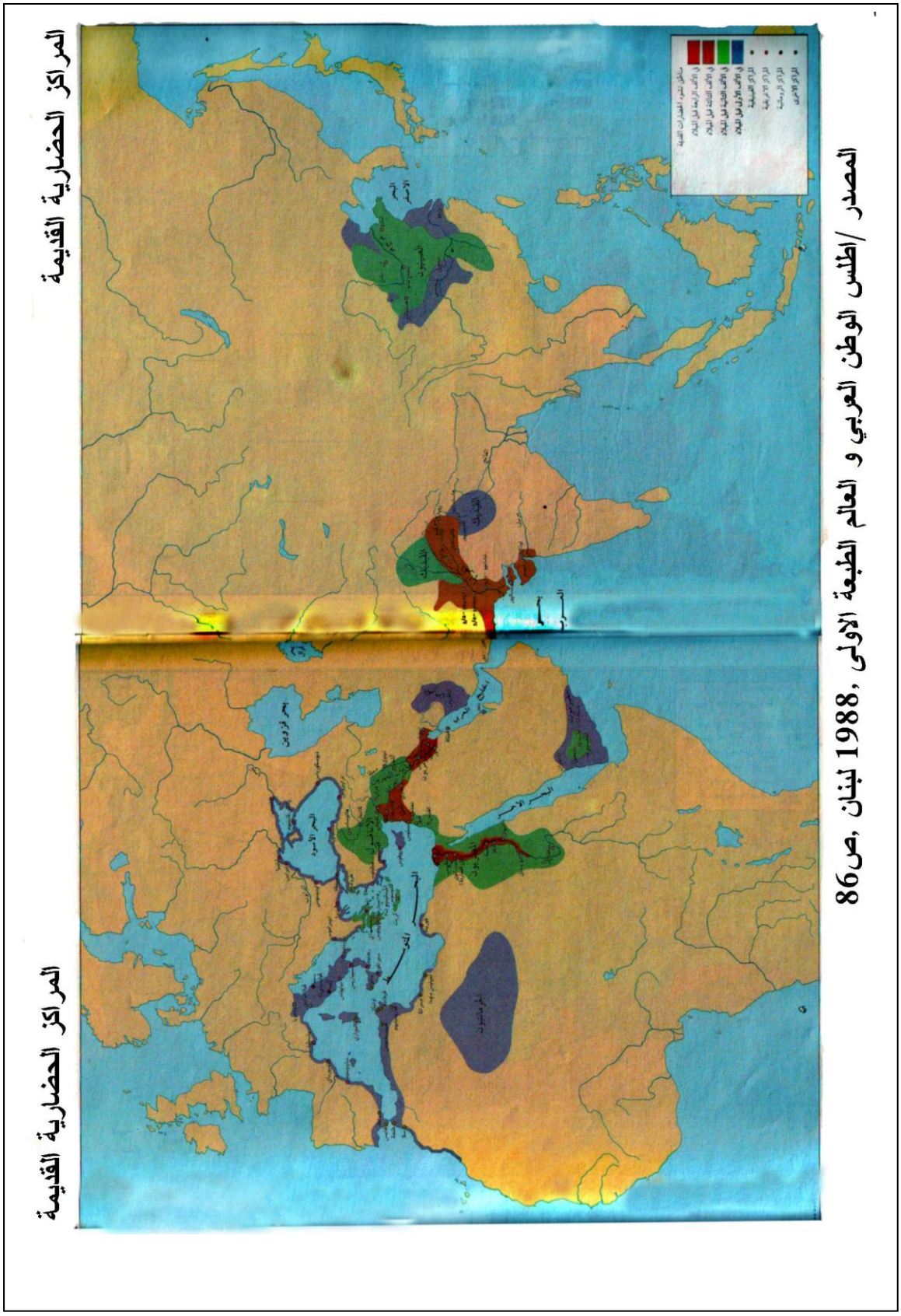

المصدر /اطلس الوطن العربي و العالم الطبعة الاولى ,1988 لبنان ,ص86

يقول المفكر الفرنسي غارودي Roger Garaudy لجمهوره الغربي ان كل مصائب الدنيا مصدرها ان العالم الغربي يظن انه صاحب الحضارة العظمى ومصدر كل التقدم في هذه الدنيا لمجرد انه اليوم هو الاقوى وهو المصدر ويطلق غارودي صيحة يقول ان الغرب مجرد صدفه Loccident Estun Accident فالغرب ليس تعريفاً جغرافياً ولكنه تلك المجموعة من القيم والقوى والتقانات والماديات التي تميزه كحضاره متقدمة في عصرنا الراهن ولكن حضارة الغرب لم تولد من العدم ولكنها كأي شئ له اصل وله جذور ، فالغرب لديه اليوم ما يشعه على العالم من افكار ومبادئ ونظم وفنون وماديات فسنجده له جذوراً في حضارات اخرى ثم ان الغرب وخاصة (U. S. A.) كحضارة حديثة عمرها لا يزيد عن اربعمائة سنة ومع ذلك فهو يبدو على وشك ان يجر العالم الى الهلاك بمخترعاته الذرية واستخداماته للقوة الغاشمة . فهو لم يثبت بعد قدرته حتى على البقاء زمناً طويلاً . لان حضارة المصريين القدماء عاشت زاهرة ثلاثة الاف سنة وحضارة العراقيين القدماء اربعة الف سنة وأن حضارة الصين عاشت الفين إلا مائتين من السنين [١٠] .

فالغرب صنعته ثلاثة عناصر اساسية :

١- اخلاقية وهي المسيحية ، والكاثولكية بالذات .
٢- سياسية وفنية : روما وقوانينها .
٣- فكرياً وفنياً : الاغريق .

فكرية وفنية ولأن المسيحية ولدت في اسيا ، وأن حضارة الاغريق والرومان ولدن في حجر البحر المتوسط وبتاثير شديد جداً من شواطئ افريقيا واسيا . فكلها أذن عناصر شرقية خارج الغرب بمعناه المعاصر أي ان حضارة اوربا نبتت جذورها لاول مرة في اسيا وافريقيا وبالتحديد بلاد الرافدين وبلاد النيل. ان الاسهامات الحضارية البالغة الاهمية لليونانيين القدماء في كل حقل من حقول المعرفة وما وصلت اليه عمارتهم ومنحوتاتهم وقطعهم الفنية على اختلاف انواعها من الدقة والتعقيد والكمال اثارت الدهشة حقاً وقد ورث الرومان ذلك التراث اليوناني الزاخر فأزدادوا في بعض حقوله وابدعوا في جوانب معينة منه فخلفية الحضارة اليونانية واسسها الاولى مستقاة من حضارات الوطن العربي القديمة وعلى الاخص العراقية والمصرية والسورية (الكنعانية)[١١] . فاذا كان اجدادنا العرب في العصر الوسيط قد اخذوا المعارف اليونانية عن طريق الترجمة فما ذلك أي ان بضاعتهم قد ردت اليهم مضافاً اليها دون شك ما تمكن العقل اليوناني من اضافته على ما أخذه من حضارات الوطن العربي القديمة . ولنا ان نعرف بان الحضارة اليونانية التي اثرت بصورة مباشرة على الغرب في عصوره المتتابعة كافة قد بدات في التبلور بين ١١٠٠-٦٥٠ ق.م [١٢] . كما كانت العلاقات بين مصر والعراق وسوريا وجزيرة كريت التي ازدهرت بها حضارة المينوية علاقات قوية منذ نهاية العصر المينوي الأول ٢٠٠٠-٤٠٠ق.م . كما يشكل التراث اليوناني- الروماني كما نقحه وطوره وازاد فيه العقل العربي الأساس الذي انطلقت منه النهضة الأوربية في العصور الوسطى ما نتج عنها من التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تفخر به بعد ذلك . ولكن كان يحدث ذلك في بلادنا ذلك التقدم الذي بنى ثمره الغربيون لولا العثرات والنكسات التي حالت دون حصول ذلك التقدم[١٣] في تقديرنا ان المركزية الاوربية تقوم على مجموعة من الاساطير التي صيغت بشكل فكري محكم ولعل اشهر هذه الاساطير قاطبة الادعاء بان الحضارة الغربية تتسم بانحدارها من الحضارة اليونانية بالاضافة الى تاثرها في الحضارة الرومانية وهذه في هذه المسيرة الطويلة التي انطلقت من اليونان حتى وصلت الى الغرب الحديث لم تتاثر على وجه الاطلاق باي حضارات اخرى وفي ذلك الادعاء مافيه من زعم نقاوة الاصل الحضاري رغم اختلاطه باي حضارات اخرى من ناحية واستبعاد القيمة الحقيقية والتاثر الفعال لأي حضارات اخرى غير غربية. فالغرب لم يتشكل حضارياً الا بعد تفاعل فكري وثقافي عميق مع الحضارة المصرية القديمة والعراقية والحضارة الفينيقية وقد ذكر المؤرخ الامريكي مارتن برنال في

كتابه (اثينا السوداء) بالتكذيب المنهجي لهذه الاسطورة الغربية ، وقد ظهر واضحاً تاثير الحضارة المصرية القديمة على شكل ومحتوى الحضارة اليونانية في الاساطير والاداب والفنون [١٤] .

٣. جذور حضارة الغرب جذور شرقية

جذور حضارة الغرب قد تشكلت في بلاد وادي الرافدين وفي مصر ، وصراع الانسان ضد البيئة الطبيعية للسيطرة عليها ونضاله لكي ينفرد من بين كل المخلوقات بصفاته وقدرته على التفكير المجرد , وكل محاولة لقطع جذور الغرب عن جذوره الشرقية لا تؤدي الا الى افقار الانسان فعصر النهضة في اوربا هو عصر نمو الرأسمالية وبدء الاستعمار وهو بداية صعود الغرب ولكن كان بداية تدمير هذا الغرب لحضارات أخرى أرقى من حضارة الغرب نفسه . سواء في علاقة الانسان بالله او علاقة الانسان بالطبيعة او علاقة الانسان بالمجتمع وهي العناصر التي تحدد رقي أي حضارة ، وقد فعل الغرب ذلك عن طريق تفوقه في استخدام القوة العسكرية دون أي نوع اخر من القوى ذات العلاقة بالتقدم والرقي .

ويقول جارودي ان حضارة الغرب قامت من ثلاث منطلقات هي[١٥] :

١. أولوية العمل كقيمة اساسية والعمل كما يقول " تقليد برجوازي وقيمة اشتراكية " .
٢. اولوية العقل بوصفه اداة حل كل المشاكل والرد على كل الاسئلة .
٣. اولوية كاسماء هيجل باللامتناهي ولكن هذه القيم تحولت وشوهت بحيث ركزت كلها على الذكاء ولم تترك مجالاً للحب والشعور والضمير والاولويات الثلاث صارت اثقالاً لا حوافز . لقد حدثت في التاريخ لقاءات مختلفة بين الحضارات ، ان اراضي الدلتا الغرينية في مصب الانهار الكبرى وهي تيسر اسباب الزراعة والحياة الحضرية سرعان ما غدت مراكز حضارية متالقة افادت من الإخصاب المتبادلة بلقائها وتلك كانت الحالة خاصة في دلتا النيل والفرات ودجلة ثم دلتا الهندوس والفانج واخيراً دلتا النهر الاصفر وسرعان ما اتصلت هذه المهود الحضارية الاربعة بعضها ببعض، ونحن نجد على شواطئ البحر المتوسط بين نهر العاصي وهضاب الاناضول وروافد دجلة والفرات الهلال الخصيب حيث عقدت اواصر حضارات الرافدين وحضارات النيل ، كما اتاح البحر من ناحية اخرى قيام علاقات بين حضارات مابين النهرين وحضارات داريا الهندوس وارتسمت المسالك الارضية الكبرى قبل الاف السنين وهذا ما سيصبح طريق الحرير الممر الكبير للسهوب بدءاً من وادي اوردوس ومروراً بشمال هملايا وانتهاءاً بتركيا ثم بساحل البحر المتوسط وعلى هذا التوجه انتشار الثقافات العليا . كما حملت الرياح الموسمية في طريقها الحضارة الصينية الى جنوب شرق اسيا كله بما فيها جزر اندونيسيا وهذا دليل على اتصال هذا الاشعاع وثمة طريق اخرى لانتشار الثقافات في اسيا مضيق بيرنج الذي اتاح للشعوب الوافدة من اسيا ولاسيما من منغوليا ان تهاجر وتنشر في امريكا كلها . وقد بدا الانتقال بلا ريب قبل عشرين الف عام واحتاج هؤلاء المهاجرون الى عشرة الاف سنة لبلوغ ارض النار .

يقول (هوغ دي فارين) في كتابة (ثقافة الاخرين) اننا نحن مالكي الحضارة التقنية وعبيدها انما علينا ان نرقب من ثقافة الاخرين قدرتنا على البقاء [١٦] وذلك من خلال الانخراط في حوار حضارات حقيقي مع الثقافات غير الغربية .

المبحث الثاني:تفاعلات الفكر الاسلامي والفكر العالمي ترسيخ لثقافة الحوار الحضاري .

قال تعالى ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)) هود الاية (٦١) أي طلب منكم عمارتها وضع الحضارة بالعلم والايمان فالاسلام جاء برسالة واحدة كريمة لا يفرق بين البشر الا بالتقوى ويدعو الى الاخاء بينهم وينادي بعالمية الاسلام . فالشخصية المسلمة لا تذوب ابداً مهما مرت عليها من تيارات جارفة لان الانسان المسلم متمسك باصول ثقافته الاسلامية ومبادئ هذه الحضارة . فالمسلم بعقيدته وعالمية اسلامه يمكنه مواجهة أي متغيرات [١٧] .

فالاديان كلها تتكون من عقيدة وشريعة واخلاق أي ان الاخلاق مشتركة في الاديان الثلاثة الاسلامية ، المسيحية ، اليهودية وهذه الاديان السماوية نادت بدعوة عالمية وما احوجنا اليوم للاخلاق الدينية ونشرها في جميع اجهزة الاعلام العالمية . فالدين الاسلامي جاء للناس كافة ليس لفئة من الناس وجميع الاديان تدعو الى السماحة والمحبة والإنسانية في العالم كوحدة واحدة ، والاسلام دين لكل زمان ولكل مكان ، فهو دين المساواة والعدل وحقوق الانسان . ومن واجبنا نحن ان نختار الافضل مما في الغرب ليس هذا فقط بل يجب ان نقدم للغرب افضل ما عندنا والذي يصلح له اذن فالحضارات تتعاون ولا تتصادم وليكون هذا الشعار ليس الافضل في الغرب هو الافضل للجميع ولكن ايضاً ان الافضل لدى الجميع هو الافضل للغرب[١٨] .

Not only the best in the west is the best for the rest but also the best in the rest is the best for the west .

نشا الفكر الاسلامي ونمى حول الاسلام نفسه , خصوصاً حول عقيدته ونظرته الى الكون والانسان والحياة والقيم وكل هذه الامور هي في الاسلام ، واذا كان الفكر الاسلامي قد انتشر من مراكزه الى ماحولها في عالم الاسلام فان اشعاعها تجاوز حدود دار الاسلام شرقاً وغرباً . وكانت حواضر الاسلام مقصد محبي العلم من خارج العالم الاسلامي ياتون اليه ليتعلموا وكانوا يجدون من ابناء دينهم (النصارى مثلاً) قوماً قد شاركوا في الفكر الاسلامي وهم في اديرتهم وكنائسهم ويحثون القادمين اليهم على طلب العلم الاسلامي[١٩] . والاسلام بتسامحه واحترامه اهل الديانات الاخرى قد مكنهم من الاشتراك في حياة العلم ولاتزال اديرة اهل الكتاب في دار الاسلام تؤدي رسالتها الدينية والعلمية وتكون واسطة اتصال بين الفكر الاسلامي داخل العالم الاسلامي والفكر الاوربي خارجه ، هذا هو حوار الحضارات تفاعل الغرب الكوني مع الشرق ، لان الاسلام كما هو معروف دين علم ونظر وتصوَّر للاشياء فهو يتيح المجال دائماً لالتقاء فكري مثمر مع الديانات والمحلل كان الشرق متفوقاً على الغرب كثيراً في حياة الفكر والثقافة . ومنذ القرن العاشر الميلادي تظهر في الفكر الاوربي الديني والفلسفي والعلمي اثار الفكر الاسلامي , وفي العصر الحديث منذ القرن السادس عشر كان الفلاسفة الاوربيون متاثرين بالمفكرين المسلمين وكل من ديكارت وبسكال وبرجسون في فرنسا وهيوم وجون لوك وجون ستيوارت مل في بريطانيا وسبينوزا في هولندة ولينبتز وكنت في المانيا الى جانب مفكرين اخرين ، مثل فيكو في ايطاليا والقديس جان دي لاكروا ، قد تاثروا بمذاهب مفكري الاسلام من فلاسفة او علماء عقائد او صوفية[٢٠] . ويفخر المسلم بتراثه الفكري والعلمي وتأثيره في العالم وهو يستمد من القرآن ابواب المعرفة وليذكر قول الله تعالى : ((وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)) النساء الاية ١١٣ .

فالفكر الاسلامي انتشر شرقاً وغرباً في بلاد الحضارات القديمة ثم اثر في الفكر الاوربي الذي ظهر بعده في العصور الوسطى والحديثة . ان الدعوة الى حوار الحضارات تعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين الذي الذي أفل منذ سبعة اعوام وكانما ادرك العالم انه لا يتحمل حروباً اخرى بعد ان حصدت ويلات كثيرة اسهمت في تفاقم المشكلات الجوهرية الكبرى التي ظل يعاني منها كل من الغالب والمغلوب . لذا تبنت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم الدعوة الى حوار الحضارات املاً في الالتقاء على مبادئ موحدة وقواسم مشتركة بين اتباع مختلف الحضارات اذ تكون كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعايش ، وقد دعت الحاجة العديد من المنظمات والمحافل الدولية الى حوار

الحضارات منذ ستينات القرن العشرين ولكن لم تثمر نتائج ملموسة عندما ترددت في ارجاء العالم السياسية والفكرية نظرية هنتنغتون نظرية صدام الحضارات كان البديل المنطقي الذي تمت المسارعة الى استدعائه هو حوار الحضارات الذي تمت الدعوة اليه بقوة في جميع المحافل والملتقيات وعمل على انجاحه قصد تجنب العالم ويلات الصراع وكوارث الصدام الحضاري . واذا كانت جهات غربية قد نادت بالدعوة الى حوار الحضارات ولكن وفق شروط وضوابط معينة املتها ظروف التفوق او الاستعلاء الغربي وان الطرف الإسلامي لم يكن بعيداً عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار الحضاري ايماناً منها بان حوار الحضارات يعتبر مطلباً اسلامياً مهماً يدعو اليه القرآن الكريم وتبشر به السنة النبوية الشريفة[٢١] . والاسلام كدين وحضارة يدعو الى التعايش بين الحضارات وينكر المركزية الحضارية التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الانماط والتكتلات الحضارية الاخرى . فالاسلام يريد للحضارات المتعددة ان تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك انساني عام . واذا كان الاسلام ديناً عالمياً وخاتم الاديان ، فأنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي الى تسنم المركزية الدينية التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد ، انه ينكر هذا القسر عندما يرى ان تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون , قال تعالى: ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدةً ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقيوا الخيرات)) المائدة الآية ٤٨ , وقال أيضاً :((ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) هود الآيتان ١١٨ ،١١٩ . ان دعوة الاسلام الى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته الى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية فعقيدة المسلم لا تكتمل الا اذا آمن بالرسل جميعاً ، ((آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله)) البقرة الاية ٢٨٥ ، بيد انه لا يجوز ان يفهم هذا التسامح الانساني الذي جعله الاسلام اساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم ، ان شرط ازدهار القيم في أي حضارة يرتبط اساساً بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الاخرى ومكوناتها فالحضارة الانسانية هي نتاجاً لتلاقح هذه الحضارات لا صراعاً فيما بينها او استعلاء بعضها على البعض الاخر ، فمنذ نشوء الحضارة الاسلامية انها لم تخرج عن هذا الاطار التواق الى التفاعل مع الحضارات الاخرى اخذاً وعطاءاً pull push تاثراً وتأثيراً فقيم الاسلام العليا ومثله حملها العرب واخذوا في نشرها وتعميمها في كل ارجاء الدنيا وعملية التفاعل بينها وبين الحضارات المصرية والفارسية والهندوسية والصينية والحضارة الاوربية الغربية فيما بعد ومع مرور الزمن نتجت حضارة اسلامية جديدة اسهمت في انضاجها مكونات حضارات الشعوب والامم فاستفادة الحضارة الاسلامية بكل ذلك عن طريق التلاقح والتفاعل فالاختلاف الحضاري لم يكن يوماً حجة للمسلمين للقطيعة مع الآخر ، والا فكيف انتشر الاسلام واخترق الحضارات لو لم يكن متفهماً لها ، وموسعاً لشراكة معرفية وتاريخة مع منجزاتها [٢٢] . ان اكبر دليل على ان الحضارة الاسلامية لم تسع في أي وقت من الاوقات الى التصادم مع الحضارة الغربية كما ينذر بذلك اصحاب نظرية الصدام الحضاري هو ان العرب والمسلمين لم يضعوا في أي زمن من الازمان صوب اهدافهم القضاء على خصوصيات الحضارة الغربية وهويتها الحضارية ، كما ان الفكر العربي والاسلامي اتجه بانفتاح وقوة صوب التراث الغربي للاستفادة منه وتطويره ، ولقد كان هناك استجابه سريعة للحضارة العربية الاسلامية في تفاعلها مع الحضارة الغربية ، وهذا ما لا نلمسه في الحضارة الغربية التي لا تسعى الى الاستفاده من تراث معطيات الحضارات الاخرى[٢٣].

فالاسلام يحض على الحوار والتفاهم والتعاون والتعايش السلمي ذلك ان الدين الحق لا يقوم الا على التقوى ولا يوجد ايمان بحد السيف فالايمان لغة هو التصديق [٢٤] وآيات القرآن عديدة في هذا المجال ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن)) النحل ، الآية : ١٢٥ و((لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) البقرة الاية (٢٥٦) ((افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنون)) يونس الاية ٩٩ . ولان البشرية تنقسم الى شعوب وقبائل فان الدعوة تكون ((يا ايها

الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) الحجرات الاية ١٣ .اذن لا توجد مشكله على الارض من وجهة النظر الاسلامية بسبب الخلاف في الراي او العقيدة او اللون او القومية او الدين ، بل ان الاسلام يدعو الى مبارات سلمية في اعمار الارض والتخلية بين الانسان واختياراته العقائدية . والامر المثير للحذر والقلق ان الولايات المتحدة الامريكية تتحدث عن إن آمنها القومي مهدد من المسلمين وهذه مبالغة غير صحيحة فاين هي الدولة الاسلامية التي يمكن ان تهدد الولايات المتحدة الامريكية ، ولكن الولايات المتحدة الامريكية تعتبر ان حدودها تشمل كل العالم وهذا امر غير مقبول ولا يمكن التسليم به الا لمن يريد ان يلغي شخصيته وحضارته ووجوده . وفي النهاية نقول : ان حوار الحضارات كلمة حق ولكن يجب ان لا يراد بها باطل ، وهو خداعنا وكسب الوقت لمزيد من الاستيلاء على الاراضي والا يكون حوار الحضارات معناه ، ان نغير ديننا (الخطاب الديني) ونضم تعاليمنا وثقافتنا ، ونستغني عن حضارتنا لكي نتطابق مع مفاهيم العولمة الامريكية ، في شتى المجالات . وكذلك فان الحوار بمعناه الفكري الحضاري مرفوض مع المعتدين المحاربين لان هؤلاء لا يعرفون ولا يستجيبون الا للقوة ولكن في المقابل علينا ان نشن هجوماً اسلامياً بالحوار مع كافة الحضارات والدول غير المحاربة في اسيا واوربا وامريكا الاتينية ، وان نسعى لتاسيس جبهة انسانية عالمية حكومية وشعبية لمحاصرة العولمة – الامريكية – الصهيونية المتغطرسة. علماً ان يقيننا يزداد بغلبة الاسلام وفشل الغرب في صراعة مع الحضارة الاسلامية قال تعالى ((كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)) الرعد الآية ١٧ [٢٥] .

المبحث الثالث : تطور فكرة الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام

من اجل وضع المسالة في اطارها الحقيقي لابد من الرجوع الى الوراء قليلاً ، لابد من التعرف على بعض الكتابات التي سبقت مقالة هنتنغتون والتي تفصح عن اتجاه في التفكير سائد في الغرب , فجاءت مقالة هنتنغتون تعبر عنه بصراحة وقوة , لقد ظهرت اراء روج لها المستشرق المعروف صاحب الميول المعادية للعرب والاسلام "برنار لويس" وكذلك مقالة "باري بوزان" الكاتب الصحفي استاذ الدراسات الدولية بجامعة ووريك البريطانية وقد نشرت هذه المقالة في مجلة شؤون دولية – امريكية بتاريخ ٣ تموز ١٩٩١ بعنوان " السياسة الواقعية في العالم الجديد وانماط جديدة للامن العالمي في القرن الواحد والعشرين [٢٦] .

اذ نشر صموئيل هنتنغتون مقالته صدام الحضارات في مجلة شؤون خارجية Foreign Affairs بصيف عام ١٩٩٣ وهي مجلة معروفة بقربها من مراكز القرار في الولايات المتحدة الامريكية والبروفسور هنتنغتون الامريكي من اصل يهودي هو متخصص في الادارة العامة ومدير معهد جون اولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفرد الشهيرة وكرس حياته لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثاً وتدريساً واسند اليه مابين ١٩٧٧-١٩٧٨ مسوؤلية قسم التحليل والاستشراق بمجلس الامن القومي الامريكي .

ان مصطلح تصادم الحضارات التي ادخلها الغرب في القاموس السياسي العالمي في اواخر القرن العشرين وكان ذلك بعد هزيمة المعسكر الشيوعي وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه كدولة لمبدا الاشتراكية المنافس المنافس للراسمالية ، في قيادة العالم , فالغرب يستعمل كلمة تصادم clash واحياناً كلمة الحرب للتعبير عن واقع العلاقة بين الحضارات ومستقبلها ولاشك ان هذه مغالطة كبيرة من الغرب للبشرية لان التصادم لا يعبر عن واقع العلاقة بين الحضارات تعبيراً دقيقاً انما يشعر بالبعد المادي او العسكري للعلاقة ويعبر عن نتيجة واحدة مفزعة للانسان الا وهي الحرب[٢٧]. ان اراء وافكار هنتنغتون كانت تخيف القارئ الغربي باقناعة بان الغرب ينحسر وان حضارته تنكمش ويجعل من الاسلام والشعوب الاسيوية عدواً للغرب ، كما انه يهاجم الذين يدعون داخل المجتمع الامريكي بتالف الثقافات

داخل هذا المجتمع وكونه بوتقة لصهر الثقافات ويعلن ان الولايات المتحدة الامريكية هي ليست افريقية وليست صينية وليست اسلامية وليست لاتينية بل هي مسيحية –يهودية ، لتربية ذات نظام خاص ينصهر فيه المهاجرون ولا يؤثرون فيه فهنتنغتون يقول عدم جدوى محاولات التقارب مع الاسلام والاسيويين ويشير انه خلال الخمسة عشر عاماً بين ١٩٨٠-١٩٩٥ دخلت الولايات المتحدة الامريكية في ١٧ عملية حربية في الشرق الاوسط وكانت كلها ضد المسلمين وهذا لم يحدث له مثيل في التاريخ ضد أي بشر من اية حضارة اخرى .

وانني كباحث ادعوا الله ان يسود التالف والمحبة والاحترام بين الحضارات فينتشر الرخاء وتقارب الشعوب وتاخذ كل حضارة من ميزات الاخرى ونتعلم من بعضنا البعض ((فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)) الرعد الاية ١٧ فلماذا لا تاخذ الحضارة الغربية من الاسلام العدالة والمساواة ؟ ولماذا لا نأخذ منهم التكنولوجيا والجدية في العمل ومثل ذلك الكثير مما يستوجب تضافر قوى التاخي ضد امثال صموئيل هنتنغتون من اثارة مسالة العلاقة بين الحضارات وخاصة الحضارة الاسلامية والغربية في عقد التسعينات ولكن سبق فرانسيس فوكوياما في عام ١٩٩٢ في اثارة هذه المسالة ضمن ما تضمنته اطروحته المعروفة باسم نهاية التاريخ The End of History . ان فكرة نهاية التاريخ عند فوكوياما تقول انه بنهاية الحرب الباردة انتصرت الفكرة الليبرالية والديمقراطية وراسمالية السوق واصبحت فكرة او مشروع عالمي للإنسانية ذلك انه لا توجد اية فكرة تنافسها او تستطيع ان تتحداها وقال ان الاسلام وحضارته يمثل المقاومة الوحيدة المنافسة للفكرة الليبرالية والديمقراطية والراسمالية ذلك لما يتمتع به الاسلام من كونه اقرب لان يكون ايديولوجية متكاملة لها نمط خاص من الاخلاقيات واركان العقيدة ، وان للاسلام جاذبية عالمية ولكن مقاومته لفكرة الليبرالية والديمقراطية والراسمالية هي مقاومة محلية داخل اجزاء العالم الاسلامي فقط ، وان الحضارة الاسلامية ليست قوة منافسة للغرب ولكنها تبدي مقاومة امام التوسع الليبرالي الديمقراطي الغربي في المجتمعات الاسلامية فقط ، وان هذه المقاومة في نظر فوكوياما لن تصمد طويلاً ، ولقد صنف هنتنغتون الحضارات الى (غربية ، يابانية ، هندوسية ، ارثودكسية ،سلافية ، واسلامية وحضارة امريكا اللاتينية) في حين احصى مؤرخ الحضارات الشهير ارنولد توينبي احدى وعشرين حضارة رئيسية لا يوجد منها على قيد الحياة في عالمنا المعاصر سوى ستة حضارات او على الاكثر ثماني حضارات هي الحضارة الغربية ، والكونفوسنية ، اليابانية ، والاسلامية والهندية والسلافية والارثو دكسية والامريكية اللاتينية وربما الحضارة الافريقية ، ويشير هنتنغتون في توزيعة لهذه الحضارات حسب امكانية اندماجها في الحضارة الغربية ، فيقرر ان اليابانيين ولو ان لهم حضارة متميزة الا انهم اصبحوا جزءاً من الغرب سياسياً وتكنولوجياً ولا يتصور ان يفصلوا عنه او يعادوه وكذلك الشان بالنسبة للشعوب السلافية فهي جزء من اوربا وهي تقترب من الغرب وترغب في الاندماج فيه مثلها في ذلك مثل امريكا اللاتينية ، اما الهند فهي تتراجع عن تراث نهرو وتعود الى الهندوسية وستعاني من التمزق الداخلي بسبب وجود طوائف واقليات كثيرة فيها وعلى راسها اقلية مسلمة كبيرة العدد ، اما افريقيا فهي لا تدخل في الحساب لانها حضارة صغيرة ربما تبقى اذن حضارتان لا يمكن ان تندمجا في الغرب هما الحضارة الاسلامية والحضارة الصينية بان هاتين الحضارتين يرفضون التقريب أي الاندماج في الغرب والاستسلام لهيمنته فان الصراع في المستقبل سيكون بينهما وبين الغرب[٢٨] .

ويرى هنتنغتون ومن ايدوا افكاره ان الاسلام يمثل مصدراً خاصاً للنزاع ففي نفس الوقت الذي كان العالم يشهد حدوث تطورات عظيمة كان الاسلام يمثل مصدر الازمات في العالم سواء مع الحضارة السلافية في البلقان او مع الحضارات الاخرى كما كان في بلدان افريقية ووسط اسيا ، الهند والفلبين هذه الصراعات كانت مادية عنيفة في حين تاجج الصراع الثقافي بينه وبين الغرب ومن ثم على الغرب ان يحسم هذا الصراع . كما استنتج هنتنغتون ان الحضارة المادية (الامريكية والاوربية) مهددة من قبل الحضارات الدينية والاسلامية خاصة ، جاء بعد تيقنه من ان تلك الحضارة الغربية قد افرغ محتواها

الحضاري واستفذت طاقتها الابداعية واصبحت مجرد هياكل خالية من الروح الابداعية لذلك فانها آيلة للزوال وهذا يذكرنا بمقولة ارنولد توينبي بان التوسع في المجالات العسكرية والحربية هو بداية السقوط الحضاري وهذا التوسع او النزعة العسكرية هو صفة الحضارة الامريكية في الوقت الحاضر[٢٩] . على ان بعض المفكرين الغربيين يرون ايضاً ان الاسلام الذي يسير على طريق الصدام ذلك ان الاسلام يحمل تهديداً ثلاثياً حسب تصورهم سياسياً وحضارياً وسكانياً ، وفي اغلب الاحيان كان يوظف ذلك من اجل اثارة الصراع بين الاسلام والغرب لمصلحة الهيمنة والسيطرة على العالم الاسلامي لاسباب منها اقتصادية اذن فكتابات برنارد لويس في كتابه جذور الهياج المسلم وهنتنغتون في كتابه صراع الحضارات الى صراع قام بين الاسلام والغرب المسيحي اليهودي او كان الصراع هو صراع ديني فقد اراد كل من لويس وهنتنغتون ان يقولا للعالم ان الاسلام هو عدو للطوائف الدينية الاخرى . كما يرى ويليم بفاف ان الاسلام واوربا المسيحية كانا مشتبكين بشكل متقطع في صراع منذ الحروب الصليبية . ان هؤلاء يريدون هذه الحرب ويدعون لها على انها حرب مقدسة والقصد هو توظيفها لمصلحة السياسة والهيمنة باسم الدين متناسين الويلات التي تجلبها الحروب للبشرية والبؤس الدايم والفقر والجوع ، ومن خلال تحليلنا الى الافكار التي عرضها هنتنغتون بهدوء واتزان متعمدين وجدناها تترك كلها نحو اقرار حقيقة مستقبلية يقدمها وكانها حتمية وهي ما عبر عنه بالحرب الباردة الحضارية بين الغرب والاسلام التي ستحل محل الحرب الباردة التي كانت مستعرة بين المعسكر الغربي والمعسكر الشيوعي ، وتلك هي الفكرة نفسها التي يقررها هنتنغتون في مقالته صدام الحضارات ولكن باسلوب متحرر من اصطناع الهدوء والاتزان اسلوب ينخرط صاحبه هو نفسه في الصدام ، فالتاريخ العسكري في العالم الحديث منذ القرن الثامن عشر لم يكن تاريخ حروب داخل اوربا وحدها بل كان ايضا بالدرجة الاولى تاريخ الحروب الاستعمارية التي انتصرت فيها اوربا ثم اعقبتها حروب التحرير التي انتصرت فيها شعوب المستعمرات على الغرب الاستعماري في اوربا وامريكا. واذا كان هناك صراع في المستقبل سيكون صراعاً بين الامم والشعوب المتطلعة الى الحرية والديمقراطية مع القوى الامبريالية المهيمنة عالمياً ، اما صراع الحضارات فهو مجرد تقليد غير صحيح يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل . فالاختلاف بين الحضارات والاديان لا تنجم عنه بالضرورة خلافات سياسية فليس هناك خلافات سياسية بين العرب والصين ولا بين العرب والروس ولا بينهم وبين امريكا اللاتينية ولا بين هذه والهند والروس واليابان ... الخ . مع ان هذه البلدان تنتمي الى حضارات يختلف بعضها عن البعض وهذا يصدق ايضاً على القرب الجغرافي فالنزاعات بين البلدان المتجاورة لا تعاني فيها الاقطار التي كانت مستعمرة وقام الاستعمار بفرض حدود مصطنعة فيها حدود تتنافى في الغالب مع التاريخ والواقع السكاني والمعطيات الاقتصادية[٣٠] .

ويوجد الآن في اواسط مؤثرة في الحزبيين الجمهوري والديمقراطي بالولايات المتحدة الامريكية من يروج لاستخدام حالة الحرب بين اسرائيل والفلسطينيين لخلق ازمة عسكرية وصراع حضارات عالمي يعيد لحلف الناتو سيطرته على الشؤون السياسية في العالم ، ولكن لن يتم هذا الامر اذا بقي الصراع العسكري محدوداً بين اسرائيل والفلسطينين ، اذ لابد من توسيع دائرة الصراع حتى يمكن تحويلة الى حرب دينية تجتاح معظم القارة الاوراسيوية [٣١] . ومن ابرز هؤلاء المخططين الاستراتيجيين ، زبيجنيف بريجنسكي مستشار الامن القومي السابق صاحب نظرية "قوس الازمات" الذي كانت تعني خلق طوق من الحروب الاقليمية والدينية وغيرها على طوال حدود الاتحاد السوفيتي سابقاً إضافة إلى دول من العالم الاسلامي من بنغلاديش وكشمير وافغانستان مروراً بايران والعراق ومنطقة الهلال الخصيب نزولاً الى السودان . وهناك اليكساندر هيج وزير الخارجية الامريكية الأسبق الذي طالب اسرائيل بضرب المفاعل النووي الايراني في بوشهر اثناء حديثة مع مجلة جيروزاليم بوست في شهر تموز عام ٢٠٠٠ ، وهنري كيسنجر صاحب كتاب "هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية " هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية " والذي يقترح فيه ان تتحول امريكا الى النظام الامبراطوري كسابقتها

بريطانيا حيث تدير امريكا شؤون العالم عن طريق سياسات توازن القوى أي ضرب دولة باخرى وشعب باخر وطائفة باخرى ومن ثم التدخل عسكرياً لادارة الازمات .

ان صراع الحضارات كعنصر اساسي في تشكيل النظام الدولي سيفرض نوعاً من التكتل الحضاري بمعنى ان تحتشد الدول التي تنتمي لحضارة واحدة معاً ويكون هذا التكتل القائم على التماثل الحضاري هو العنصر الاساسي لبناء التعاون والتحالفات ومواجهة الاعداء . لذلك فان هنتنغتون يرى ان الدول الاسلامية تسير في طريق يؤدي الى تكتلها في كتلة حضارية اسلامية ومن هنا وجب على الحضارة الغربية ان تستعد لهذه المواجهة القادمة لا محالة مع الحضارة الاسلامية .

الخاتمة :

يظهر من خلال تفسير هنتنغتون وتاريخة في السنوات الالف والاربعمائة الماضية تفسير مغلوط ذلك ان الاسلام لم يكن يوماً طرف صراع مع أي دين آخر ، فالاسلام كفل لجميع الديانات ان تبقى وتستمر ، وان مجرى الصراع الاسلامي – الغربي كما يقول هنتنغتون في اواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين هو من خلال زيادة عدد السكان في الدول الاسلامية ، مما اوجدت اعداد كبيرة من العاطلين هؤلاء اتجهوا الى القضايا الاسلامية داخل مجتمعاتهم ومنهم من مثل ضغطاً على المجتمعات المجاورة او كانوا مهاجرين الى الدول الغربية . كما ان الصحوة الاسلامية اعطت المسلمين ثقة جديدة في تميز حضارتهم مقارنة بمثيلاتها في الحضارة الغربية . ولكن بعد بعد انهيار الشيوعية ابعد عدداً مشتركاً للغرب والاسلام وافسح المجال لطرفي الصراع القديم الاسلام والغرب كل منهما يمثل عنصر تهديد للاخر ، ولما كانت الدول الاسلامية تسير في طريق يؤدي الى تكتلها معاً في كتلة حضارية اسلامية ، وهنا وجب على الحضارة الغربية ان تستعد لهذه المواجهة القادمة لا محالة مع الحضارة الاسلامية ولكن بانتهاء الحرب الباردة فان التهديد الاسلامي بدات تتردد نغمته على لسان هنتنغتون مع بداية التسعينات بدا الاسلام وكانه يمثل مصدراً خاصاً للصراع وذلك من خلال المنازعات ضد الحضارات المجاورة في البلقان وافريقيا والشرق الاوسط واسيا الوسطى والهند وجنوب شرق اسيا والفلبين حيث بدا الاسلام كايديولوجية معركة ثقافية مع الغرب فالحضارات تثرى الواحدة تلو الاخرى وجميعها حضارة انسانية متكاملة تسهم جميع الشعوب على اختلاف الاجناس والمعتقدات في اقامة وبناء دعائمها ، وان اضفاء الطابع السياسي او الصبغة السياسية على الحضارة امر يتناقض كلياً مع الاسس العلمية السليمة . وان التقريب بين الشعوب هو تدعيم للبعد الحضاري ونظرية صدام الحضارات لم تراع هذا البعد التي تمثله الحضارات في السياسة وتريد ان تعكس تاثير هذا البعد ليصبح سبباً للاختلافات بدلاً من الائتلاف ، ان صدام الحضارات من الناحية العلمية مجرد وهم وفكرة غير معقولة , اذ يجب ان تكون الحضارات عبارة عن صحون وقطارات او سيارات او ما اشبه هذا وذاك حتى نتصورها تتصادم , لكن هذه الفكرة من الناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تنطوي فعلاً على قضية ، فمن الواجب المساهمة بالوقوف ضدها وفضحها ، فضلاً عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها واهدافها .

الهوامش والمصادر :

١١- الزفزاف ، د . فوزي فاضل ، موقف مؤسسات الحوار الحضاري ومسؤولياتها ، من شبكة الانترنيت www. themwl.org .

٢- حسين ، احمد ، تاريخ الانسانية ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٧-١٣ .

٣- اشبنكلر،اسوالد ،تدهور الحضارات الغربية،ترجمة احمد الشيباني،ج١، بيروت ١٩٦٤ ، ص١٧ .

٤- سوسة ، مهندس د. احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٨٤ .

٥- الدليمي ، حامد حمزة حمد ، فلسفة التاريخ والحضارة، جامعة واسط /كلية التربية ، ٢٠٠٤، ص٢١٤-١٢٥ .

٦- اشبنكلر ، اسوالد ، تدهور الحضارة الغربية ، مصدر سابق ، ص١٢ .

٧ - Hawkes, L, and ,woolleg ,L, prehistory and the beginning of civilization , London , 1963 ,p .395 .
٨- الجوهري ، يسري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، الاسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص٢٠ .
٩- الفرا، د. محمد علي ، واخرون ، اطلس الوطن العربي والعالم ،ط١، ١٩٨٨ ، لبنان ، ص٨٦ .
١٠- بهاء الدين ، احمد ، استعمار التاريخ والحوار بين الحضارات ، مجلة العربي ، العدد (٢٤٣) ، شباط ، ١٩٧٩، الكويت ، ص١٢ .
١١- الاحمد ، د. سامي سعيد ، حضارات الوطن العربي القديمة اساساً للحضارة اليونانية ، بغداد،٢٠٠٣ ،ص٣-٤ .
١٢ - Chester ,G ,S.The origin of Greek civilization , 1100-650 , B.C , New York , 1961 , P.5.
١٣- الاحمد ، د. سامي سعيد ، حضارات الوطن العربي القديمة اساساً للحضارة اليونانية ،مصدر سابق ،ص٣ .
١٤- السيد يسين،حوار الحضارات، تفاعل الغرب الكوني مع الشرق المتفرد ، ط١ ،٢٠٠٢،القاهرة ، ص١٤٩-١٥٠ .
١٥- بهاء الدين ، احمد ، استعمار التاريخ والحوار بين الحضارات ، مجلة العربي ، مصدر سابق ، ص١٦-١٧ .
١٦- غارودي،روجيه،حوار الحضارات ، تعريب ، د. عادل العوا، لبنان ، ط ٤ ، ١٩٩٩ ،ص٧٨ .
١٧ – حاتم ، د. محمد عبد القادر ، العولمة ما لها ..وما عليها ، القاهرة ،٢٠٠٥ ، ص٥٨٠ .
١٨- حاتم ، د. محمد عبد القادر ، المصدر السابق ، ص.٥٨١
١٩ – ابو ريدة ، أ. د محمد عبد الهادي ، والفندور ، أ.د احمد نصر الدين ، واخرون ، الثقافة الاسلامية ، ط١، ١٩٨٩ ، الكويت ، ص٣٥٨ .
٢٠- ابو ريدة ، أ. د محمد عبد الهادي ، والفندور ، أ.د احمد نصر الدين ، وآخرون ، الثقافة الاسلامية ، مصدر السابق ، ص٣٦٠ .
٢١ – عزوزي ، د . حسن ، حوار الحضارات ، الاسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري ، ص١ ، من شبكة الانترنيت . www. islam to day . net
٢٢- العبادي ، ابراهيم ، والانصاري ، عبده الفيلاي واخرون ، الاسلام المعاصر والديمقراطية ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، كانون الاول ، ٢٠٠٤ .
٢٣- عزوزي ، د . حسن ، حوار الحضارات ، الاسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري ،مصدر سابق ، ص٤ .
٢٤- حسين ، مجدي احمد ، حوار الحضارات بين الحقيقة والخداع ، ص١ ، من شبكة الانترنيت . www. Islam to day . net
٢٥- حسين ، مجدي احمد ، حوار الحضارات بين الحقيقة والخداع ، مصدر سابق ، ص٧ .
٢٦- الجابري ، د. محمد عابد ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط١ ، بيروت ، حزيران ،١٩٩٧ ، ص٨٧ .
٢٧ – بن علي،ياسين،تصادم الحضارات ، ص١ ، من شبكة الانترنيت .www. azeytouna . net
٢٨- الجابري ، د. محمد عابد , قضايا في الفكر المعاصر ، مصدر سابق ، ص١٠١-١٠٢ .
٢٩- الدليمي ، د. حامد حمزة حمد ، فلسفة التاريخ والحضارة ، مصدر سابق ،ص.٣٠٩
٣٠- الجابري ، د. محمد عابد , قضايا في الفكر المعاصر ، مصدر سابق ، ص.١١٣
٣١- النديم ، حسين ، الاقتصاد .. ديناميت صراع الحضارات ، ص ٥-٦ من شبكة الانترنيت www . islamon line . net .

Abstract

It seems that the interpretation of Hintenigton and his history for the one thousand four hundred years is mistaken because Islam has never been at any time a party in a conflict with any religion. Islam has guaranteed for all religions to survive and continue and that the Islamic-Western conflict as Hintenigton asserts in the late twentieth century and early twenty-first century was due to the increase in population of Islamic countries.

The conflict among cultures has been a subject occupying the thinking of intellectuals, academicians, and people in general fourteen years ago. Since the Arabs and Muslims are the most targeted ones in this conflict, it has become incumbent to take part in knowing and analyzing it in reality. It has become also necessary to make knowledge of it as regards what it implies and what its targets are.

Many discussions, comments and reactions were published against the idea of conflict among cultures in America, Europe and the Arab world. Many seminars and symposia were held in American, European and Arab universities that attracted researchers and specialists from various quarters to discuss the concepts, targets and the aspirations of the theory.

Calling for a dialogue among cultures was a trait of the second half of the twentieth century that elapsed seven years ago. Therefore, many sections and institutions in the world decided to adopt the call for a dialogue among cultures for the followers of various cultures in favor of paving the way for understanding, cooperation and peaceful co-existence.

مجلة القادسية للعلوم الانسانية

تواصل مسيرتها المتألقة ، فساهم عزيزي الباحث في رفدها ببحوثك الرصينة على وفق ضوابط النشر العلمي .